

المقدمة

الحمد لله خلق الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبثَّ منها رجالاً كثيراً ونساءً، وجعل بينهم صهراً ونسباً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه، وعلى مَنْ سار على طريقه المستقيم، وبعد :

فإلى وقت قريب كانت الأسفار اليهودية هي المصدر الوحيد لمعرفة تاريخ اليهود وفلسطين في الأزمنة القديمة، وقد اصطبغت هذه الأسفار بصفة القداسة وبخاصة بعد أن اتخذ منها المسيحيون " زمناً طويلاً كتابهم المقدس الأوحى وسمّوه " الشريعة والأنبياء " وفقاً للاصطلاح اليهودى في تلك الأيام.

وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادى تمكّن جان - فرانسوا شامبليون - Jean FranÇois Champollion (١٧٩٠ - ١٨٣٢) من فكِّ رموز الحروف الهيروغليفية التى كُتبت بها اللغة المصرية القديمة، وانطلقت وثائق البردى فى مصر، وجدران معابدها، ولوحات مقابرها تكشف عن حضارة عظيمة تختلف صورتها عن تلك الصورة المظلمة التى ترسمها لها نصوص اليهود فيما سمّوه العهد القديم.

توالت الحفريات فى الشام وفلسطين والعراق وبخاصة فى أوغاريت Ougarit، ونوزى Nouzi، وأور Ur، وغيرها، ووقع الصّدام بين ما كشفه علم الآثار من حقائق وما جاء فى الأسفار اليهودية من أساطير، وخرافات، وانقسم العلماء فى هذه القضية أربعة أقسام :

❖ فريق منهم يكذب الأسفار، ويرفض جميع ما جاء فيها مخالفا العلم وأكثر علماء هذا الفريق من الملحدّين والعلمانيين ومن اقتدى بهم.

❖ وفريق منهم ينكر على العلم الحديث اقتحام هذا الحرم المقدس مؤمناً بصدق النص الديني وإن خالف العقيدة الصحيحة والفترة السليمة، وإن كذبه التاريخ، وإن تأكّد لديه بما لا يقبل الشك زيف النص، وغموضه والجهل بقائله، وأغلب هذا الفريق من علماء اللاهوت المسيحي.

❖ وفريق منهم يحاول تأويل النصوص الدينية، وتطويعها للتوفيق بينها وبين حقائق التاريخ، ويزيل ما بينهما من تناقض، ومن هذا الفريق الدكتور رشدي البدراوى الذى أصدر سلسلة كتب " قصص الأنبياء والتاريخ " فى سبعة أجزاء، أولها عن سيّدنا آدم عليه السلام، وآخرها عن سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله، وقد دأب على أن يجمّل النصوص فوق ما تحتمل.

❖ والفريق الرابع، وهم قليل من العلماء الذين بحثوا القضية بحياد تام محاولين كشف الحقيقة، ونفى الأوهام، وأشهر علماء هذا الفريق اثنان :

❖ العالم العراقى الدكتور أحمد سوسة - رحمه الله - الذى توجّج جهوده بكتابه العظيم الذى استفد من عمره نصف قرن: " العرب واليهود فى التاريخ " .

❖ والمؤرخ الفرنسى جى راشيه Guy Racht الذى زادت مؤلفاته عن الأربعين، وتنوّعت ما بين المقالات التاريخية، والمعاجم المتخصصة فى الحضارات القديمة (الإغريقية، المصرية، والشرق الأدنى) والأعمال الإبداعية فى الرواية والقصة والأدب، والترجمة من الهيروغليفية، وغيرها من اللغات القديمة والحديثة، إلى جانب أبحاثه العميقة فى تاريخ "الكتاب المقدس" ونقد نصوصه، وتوجّج جهوده بكتابه الرائع " La Bible mythe et réalités " .

وتوصّل الباحثان إلى كثير من النتائج المذهلة التى غيرت المفاهيم القديمة، وبعد دراستى لما كتبا، وما كتبه غيرهما توصّلت إلى ما يلى :

١ - مصادر الأسفار اليهودية كلها ترجع إلى أساطير بابلية، وسومرية، وكنعانية، ومصرية، ويونانية، وكتبت كلها بالآرامية بعد وفاة سيّدنا موسى ﷺ بأكثر من سبعة قرون، ثم ترجمت إلى إحدى اللهجات الكنعانية التي عرفت فيما بعد باسم " شفة كنعان " أو العبرية، كما ترجمت إلى اليونانية بعد ثمانية قرون مما يقطع الصلة تماما بينها وبين التوراة التي هي كتاب الله المنزّل على سيّدنا موسى ﷺ.

٢ - العبرانيون، والإسرائيليون، وقوم موسى، واليهود هم أربعة أقوام مختلفة لا يربط بينها العرق، أو الدين، أو اللغة، أو الموطن، أو التاريخ المشترك، وقد تعمّد اليهود الخلط بين الأحداث التاريخية لتضيع الحقيقة، وليثبتوا لأنفسهم نسبا يرفعونه زورا إلى الخليل إبراهيم ﷺ، وإلى حفيده سيّدنا يعقوب ﷺ الذي ألصقوا به كذبا لقب " إسرائيل "، وحاولوا أن يجعلوا لهم تاريخا له حضارة، وأن يثبتوا لهم جذورا في أرض العرب، والحقيقة بطلان كل هذه الادّعاءات، فقد كذّبهم الآثار، وكذّبهم التاريخ؛ فلم يثبت لهم وجود أصلا في أرض فلسطين، فلا يوجد نقش واحد أو أثر واحد يتحدث عن تاريخ لهم، وما جاء في النقوش القديمة من أسماء المدن والبقاع كاليهودية وإسرائيل... وأسماء الأعلام كإبراهيم وإسحاق.... هي أسماء كنعانية قديمة انتقلت إلى اللغة العبرية باعتبارها واحدة من اللهجات الكنعانية الآرامية.

٣ - من الموضوعات الهامة التي لم يُوهّا الدّارسون حقّها من البحث في الأديان مسألة " ترجمة " النص المقدس إلى لغة غير لغته الأصلية - هل تكتسب تلك الترجمة القداسة أيضا؟ أم هي ترجمة للمعاني فقط، وليس ترجمة للنص، وهي بذلك تكون فقدت قداستها؟

بالنسبة للقرآن الكريم المسألة محسومة؛ فترجمته إلى اللغات غير اللغة العربية ترجمة معان، وليست مقدّسة، ولا يصحّ التعبّد بتلاوتها، ولا يصحّ أداء الصلاة بها لا فرضا ولا نفلا، وذلك لسببين:

السبب الأول: أنّ القرآن الكريم هو معجزة رسول الله ﷺ الباقية الخالدة

الوحيدة، وإعجازه في ألفاظه، وفي نظمه، وفي معانيه، وفيما يخبر به من أحداث مضت، أو لم تقع بعد، والترجمة لا تظهر ذلك الإعجاز، وبخاصة إعجازه في الألفاظ، وفي النظم.

والسبب الآخر : أن لغة القرآن الكريم لغة حيّة، باقية، خالدة، متطورة تعهد الله ﷺ بحفظها لأنه اختارها لتبلغ للناس كلامه، وستبقى ما بقيت السموات والأرض.

وهاتان الميزتان لا تتوفران لأى كتاب سماوى ؛ فمعجزات جميع الأنبياء السابقين على سيدنا محمد ﷺ كلها معجزات مادّية مقطوعة الصلة تمامًا بالكتاب المنزل، وما تضمّنه من مبادئ وتشريعات، ومات بموت النبي ؛ فإذا كان سيدنا موسى ﷺ يضم يده إلى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء، ويلقى عصاه فتحوّل إلى ثعبان مبین فإنّ هذه المعجزات ليست جزءًا من عقيدته الدينيّة، ولا علاقة لها بالكتاب المنزل عليه، ولا يمكن إثباتها أو التحقق منها بعد وفاته ؛ فإعجازها خاص بمن كان حيًّا في زمانها، وشاهدها مع الملأ المحتشد في يوم الزينة، ورآها بعينه.

ومعجزات سيدنا عيسى ﷺ من ذات النوع المادّي المنقطع الصلة بالعقيدة ؛ فقد كان عيسى ﷺ يحيى الموتى بإذن الله، ويشفى الأبرص والأكمه بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثمّ ينفخ فيه، فيكون طيرًا بإذن الله...وهى معجزات ماتت بموته، ولم يعد في استطاعة البشر اليوم رؤيتها، وإنّما رآها من كان معاصرًا للمسيح ﷺ. وما قلته عن معجزات سيدنا موسى، وسيدنا عيسى - عليهما السلام - يصدق على معجزات جميع الأنبياء - ما عدا محمدًا ﷺ - مثل نار سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ، وناقة سيدنا صالح ﷺ...

وفي الوقت نفسه ماتت اللغات التي نزلت بها تلك الكتب، ولم يعد لها وجود ؛ بل إنّ البحث في مفرداتها، ومعانيها، وأجروميتها هو ضرب من الحدس والظن لا يرقى إلى درجة اليقين، أو إلى درجة تقرب من اليقين ؛ ولعلّ هذا هو أهم الأسباب

في كثرة التعديلات والتغييرات في متون الأسفار والبشائر^(١)، إلى درجة أن موسوعة بريطانيا ذكرت أن هناك خمسين ومائة ألف تناقض وتحريف في ما يدعونه "الكتاب المقدس" بينما رفع العلماء حديثاً هذا الرقم إلى ثلاثمائة ألف في كلا العهدين، أي إلى ضعف الرقم الأول...^(٢).

٤ - إنَّ الدراسات القائمة على الوثائق والتحليلات اللغوية ومراجعة الترجمات السابقة كشفت عن تدخّل المنظمة الكنسيّة في إخفاء أكثر الأناجيل، ولم تسمح إلاّ بتداول أقلها الذي يُخدم أغراضها، وهو ما دفع بأحد العلماء إلى القول: إنَّ الفرق الذي يوجد بين ما توصل إليه العلماء والباحثون في أصول المسيحية وتاريخها وبين عامة الجمهور هو جهل يصل إلى درجة الأمية! فما يعرفه العلماء في وادٍ، وما يُسمح بنشره للعامة في وادٍ آخر.

٥ - رسمت نصوص الأسفار اليهودية صورة وثنية إحلالية تجسيمية للإله تظهره بمظهر الإنسان العادي بكل نقائصه وعيوبه وعجزه، فلا تظهر في تلك الصورة فروق بين الخالق ومخلوقاته؛ فهو يسأل مَنْ يعلم عما يجمله هو، ويتفرّج على ما يصنعه البشر بإكبار وإعجاب، ويعاشر الناس، ويأنس بهم، ويأكل معهم، ويصارعهم، ويتحدّث إليهم، ويخاصمهم، وقد يخافهم، ويداريمهم، بل حاكمه الحاخامات، ووصموه بالخطأ، فاعتذر، ولم يعد في استطاعته فعل شيء في هذا الوجود إلاّ بإذن منهم.

وأما صورة الأنبياء في الأسفار اليهوديّة فهي صورة رديئة، قدرة تجعلهم وثنيين، كذّابين، منافقين، زناة، سكارى، لصوصاً، يتاجرون بشرفهم وأعراضهم... وقد لخصّ نبيهم إرميا هذه الصورة في قوله:

(١) المقصود بلفظ "الأسفار" ما يسمّونه (التوراة، أو العهد القديم)، و المقصود بلفظ "البشائر" ما يسمّونه (الأناجيل، أو العهد الجديد) وسوف يتضح لك سبب اختيار هذين المصطلحين الجديدين في الفصل الأوّل من هذا الكتاب.

(٢) شفرة دافنشي والمؤسسة الكنسية، د. زينب عبدالعزيز مقال في جريدة الشعب الإلكترونية بتاريخ ٢٠٠٦ / ٥ / ١٩ م.

١٥... مِنْ أَنْبِيَاءِ أَوْرُشَلِيمَ شَاعَ الْكُفْرُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ".^(١).

٦ - ملأ اليهود تاريخ الإنسانية بالأكاذيب والأباطيل والخرافات منها :

❁ أنه يوجد شعب يعرف بـ " إسرائيل " عاش عبر التاريخ مميزاً بصفتين أساسيتين : الأولى : العرق السامى النقى ؛ وهو خرافة لا دليل عليها.

والأخرى : التوحيد ؛ والواقع أن اليهود لم يعرفوا التوحيد فى معظم تاريخهم، ولم يعبدوا الإله الواحد القهار فى أكثر أوقاتهم، بل لم يتخلوا أبداً عن عبادة العجل حتى فى حياة أنبيائهم، بل إن اسم إلههم الخاص الذى اخترعه لهم عزراً ونحميا " يهوه " ينطقون به يهوفاه على أنه خوار البقرة ؛ ليدل على أن يهوه مرتبط بالثور^(٢).

❁ الحية التى أغرت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة أسطورة سومرية.

❁ الأجناس البشرية ونسبتها إلى أبناء سيدنا نوح ﷺ كلها باطلة.

٧ - كل الأدلة التاريخية والدينية ترجح - إن لم تقطع - أن أنبياء الله : إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، ويوشع، ويونس، وأيوب، وإلياس، وداود، وسليمان، وعيسى، جميعهم ليسوا من اليهود - كشعب متميز بحسب تصوّرهم - ولا تربطهم بهم صلة.

٦ - سيدنا موسى ﷺ مصرى الأصل، ولا علاقة له بما يسمّى " بنى إسرائيل " إلا أن يكونوا من بين جماعة المستضعفين الذين استذلهم الفرعون، وأراد سيدنا موسى ﷺ رفع الظلم عنهم، ودعوتهم إلى نور الإيمان، وتوحيد الله الواحد الأحد، وعبادته.

❁ خرافة الخطيئة الكبرى ؛ ويريدون بها عصيان سيدنا آدم ﷺ أمر ربه وأكله من الشجرة المحرمة، وما ترتب عليها من خروجه من الجنة هو وزوجه، وظلّت البشرية تتوارث هذه المعصية حتى خلصها منها المسيح ﷺ بافتداء البشر بنفسه.

(١) إرميا ٢٣ : ١٥.

(٢) ما بين موسى وعزرا ٢٤٨، ١٠، La Bible mythe et réalités.

ورث المسيحيون هذا التراث الخرافي الممتلئ بالأكاذيب والإلحاد والمتناقضات، والأساطير، واعتبروه أساساً لعقيدتهم بالرغم مما بين العقيدتين اليهودية والمسيحية من خلاف كبير، والذي يدعو إلى الدهشة والغرابة في أمر العقيدة المسيحية أمور ثلاثة :

الأول : أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بُعثَ لتصحيح العقيدة اليهودية بعد انحرافها عن الدين القويم، ومخالفتها الشريعة الموسوية وسنة الأنبياء، إنَّ المسيحيين يعلمون ذلك، ويتحدَّثون به في بشائرهم ؛ فكيف يتخذون من هذه العقيدة الفاسدة المنحرفة - باعترافهم - أساساً لعقيدتهم ؟

الثاني : منذ اليوم الأوَّل لظهور المسيح عليه السلام سعى اليهود لتحريف النصرانية وتغييرها، والقضاء عليها وتدميرها ؛ وتكفل شاوول اليهودي بهذه المهمة، فادَّعى كذباً أنَّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ظهر له - بعد موته - في طريق دمشق، وكلفه في ثوان بتكاليف مناقضة تماماً لكلِّ ما علَّمه المسيح أنصاره خلال ثلاث سنوات من رسالته ؛ فكيف استطاع هذا الشاوول اليهودي - وهو أعدى أعداء المسيح وأنصاره كما قالوا - كيف استطاع أن يصبح القديس بولس، وأن يضع أكثر من ثلثي تعاليم المسيحية ونصوصها المعمول بها اليوم، فهل يُصدِّق عاقل أن يكون نصيب نبيِّ الرسالة أقل من نصيب عدوِّه في كتابهم الديني، مع ما بين الأكثر والأقل من تناقض فاضح ؟ فبمقياس " الكم " أماننا عدو له النصيب الأوفر، ونبي قليل القسمة - فمنْ نصدِّق منها ؟ ومنْ نكذِّب منها ؟ أنؤمن للعدو المكثر أم نؤمن للنبيِّ المقل ؟ وأيهما أحق بالاتباع ؟

الثالث : العقلية المسيحية تتعايش في داخلها المتناقضات الدينية، وتتساقق بشكل ملفت للنظر، وصدق سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (ثُمَّ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِيهِ، أَوْ يَنْصَرَانِيهِ، أَوْ يَمَجَّسَانِيهِ كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ ؛ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)^(١).

(١) صحيح البخارى الباب ٩١ " ما قيل في أولاد المشركين " الحديث ١٣١٩، ١ / ٤٦٥ .

فمن أمثلة التناقض الذي نراه في الفكر الديني المسيحي :

✻ يردّد المسيحيون دائماً أساس عقيدتهم في التثليث : " الآب والابن والروح القدس إله واحد"^(١). " وما من إنسان عاقل - غير مسيحي - يمكنه أن يفهم المعادلة : الآب + الابن + الروح القدس = إله واحد .

- ١

- ٢

✻ جراهام سكروجي - عضو معهد " مودي " للكتاب المقدّس، ومن أكبر علماء البروتستانت المُسجّين^(٢) العاملين على نشر عقيدتهم الفاسدة - له كتاب عنوانه " هل الكتاب المقدس كلام الرب " وكتب فيه فصلاً جعل عنوانه " كتاب من صنع البشر ولكنه سماوى " ؛ ويقول فيه : " نعم، إنّ الكتاب المقدّس من صنع البشر بالرغم من أن البعض جهلاً منهم قد أنكروا ذلك "^(٣).

ولم يسأل هذا المأفون نفسه : كيف يكون سماويًا أو إلهيًا ما هو من صنع البشر؟

✻ جاء في مقال بعنوان " خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدّس " المنشور في مجلّة شهود يهوه ما يأتي : " هناك ما يقارب خمسين ألف خطأ... وهي أخطاء قد تسلّلت في نص الكتاب المقدّس، إنّها خمسون ألف خطأ خطير، ولكنّ النص ككل ما زال صحيحاً "^(٤).

أرأيت كيف أنّ وجود خمسين ألف خطأ خطير في كتاب واحد لا قيمة لها، ولا تقدح في الكتاب، ولا تثير الشك فيه، ويظلّ الكتاب صحيحًا ككل ؟ علمًا أنّ علماء

(١) لم توجد هذه العبارة في أصول بشارة متى ١٨ : ١٩ وإنّما أضيفت إليها بين أقواس .

(٢) سوف نطلق لفظ " مسجّين " على القسس والرهبان المسيحيين العاملين في مجال نشر عقيدتهم بين غير المسيحيين، والمصطلح الأكثر استعمالاً هو نعتهم " باللبشريين "، وسأهم البعض " المنصّرين " ومن خلال الفصل الأول من هذا الكتاب ستعرف سبب رفضنا لمصطلح المبشرين، والدعوة إلى استعمال واحد من الاصطلاحين الآخرين .

(٣) الجزء الأول من مجموعة ديدات " هل الكتاب المقدس كلام الله " ١٨٧ .

(٤) المصدر السابق ١٩٩ .

اللأهوت المسيحيين قد رفعوا هذا العدد إلى الضعف، أى إلى ثلاثمائة ألف خطأ كما سبق القول.

ومن هنا قد يسأل سائل : أ فى كتابهم " الشريعة الخطيئة " (١) ثلاثمائة ألف كلمة حتى يكون فيه مثل هذا الرقم المخيف من الأخطاء ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تذكّرني بما قرأته ذات يوم من أنّ منظّمة الصحة العالمية نشرت فى تقريرها لعام ١٩٥١م - على ما أذكر - أنّ عدد المرضى فى مصر بلغ ٤٨ مليوناً من المصابين، فى الوقت الذى كان فيه تعداد مصر السكانى الفعلى لم يكن يتجاوز ٢٣ مليون نسمة فقط، وتفسير هذا الأمر أنّ المنظمة تستقى معلوماتها من قوائم المرضى فى المستشفيات العامة وعيادات الأطباء الخاصّة، وقد يكون الشخص الواحد مصاباً بمرضين، أو ثلاثة، أو أكثر ؛ فيكون اسمه مسجلاً فى ثلاثة مواضع وهو فى العدد يحسب ثلاثة مرضى، بالرغم من أنّ كثيراً من سكّان مصر فى ذلك الوقت - وبخاصة فى ريف مصر وقراها - لم يكونوا من روادّ المستشفيات والعيادات.

وبهذا التفسير نفسه نجيب عن السؤال المطروح : أ فى كتابهم " الشريعة الخطيئة " ثلاثمائة ألف خطأ ؟

الحقيقة أنّ الأخطاء أو المتناقضات فى الشريعة الخطيئة تتنوع ما بين :

كلمة تناقض كلمة، وكلمة تناقض جملة، وجملة تناقض جملة، وفقرة تناقض فقرة، وشخص تتعدد أسماؤه، وحادثه تعارض حادثه، وقصة تخالف قصة، وبلد يذكر له أكثر من موضع، وموضع يعرف له أكثر من اسم، وإله يحمل عشرات الأسماء والصفات... وعشرات المتناقضات.

(١) سنستخدم مصطلح " الشريعة الخطيئة " بدلا من " الكتاب المقدّس "، فهو كتاب حرام أن يوصف بالقداسة علماً أنّ التسمية ليست من عندى، وإنّما صرّح بها مؤلف مدخل إلى العهد القديم ٥٤ نشر جمعيات الكتاب المقدس فى المشرق، الطبعة الثالثة لدار المشرق ١٩٩٤م، فى بيروت، حيث أشار إلى أنّ معنى الكتاب المقدس = الشريعة الخطيئة.

❁ قالت السيدة إيلين ج. وايت : " إنَّ الكتاب المقدَّس الَّذِي نقرؤه اليوم هو نتيجة عمل نَسَّاحٍ عديدين استطاعوا في معظم الأحيان أن ينفِّذوا عملهم بإتقان مدهش، ولكنَّ النَّسَّاحَ لم يكونوا معصومين من الأخطاء، واللعب في هذه الأحيان بتغيير بعض الكلمات ظنًّا منهم أنَّهم كانوا ييسِّطونها ولكنَّهم في الحقيقة كانوا يجعلونها أكثر غموضًا؛ لتسببهم في ميلها إلى آرائهم الَّتِي كان يحكمها التقليد في ذلك العصر"^(١).

أستطيع أن تحسب كمِّية المتناقضات في هذه الأسطر الستة؟ ألسنت ترى أن عدد المتناقضات فيها أكثر من ضعف كلماتها؟

ويعلقُ الشيخ أحمد ديدات الدَّاعية الإسلامي على كلمة إيلين وايت هذه بقوله : " إنَّ المرض العقلي عندهم مصقول حقًّا؛ فهذه الكاتبة وأتباعها ما زالوا يذيعون في كل مكان : " إنَّ الكتاب المقدَّس حقًّا كلام المعصوم " و " نعم هو محرَّف ولكنه نقيٌّ وظاهر "، " إنَّه من عمل البشر ولكنه سماوي "، هل للكلمة أي معنى في لغتهم؟

نعم الكلمة لها قيمة في محاكمهم، ولكن ليس في دينهم، فهم يحملون " ترخيصًا أدبيًّا " عندما يعظون الناس"^(٢).

❁ يقول ول ديورنت " ليس العهد القديم شريعة فحسب، بل هو فوق ذلك تاريخ، وشعر، وفلسفة من الطراز الأول، وإذا ما أنقصنا من قيمة

الكتاب ما فيه :

- ١ - من أساطير بدائية.
- ٢ - ومن أغلاط مبعثها صلاح الكاتبين وتقواهم.
- ٣ - وأقرنا أنَّ ما فيه من أسفار تاريخية لا تبلغ من الدقَّة أو القدم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيه.

(١) الجزء الأول من مجموعة ديدات " هل الكتاب المقدس كلام الله " ٢٠٧.

(٢) الجزء الأول من مجموعة ديدات " هل الكتاب المقدس كلام الله " ٢٠٧.

إذا ما فعلنا هذا كله فإننا لا نجد في الكتاب طائفة من أقدم الكتابات التاريخية
فحسب بل نجد فيه كذلك طائفة من أجل تلك الكتابات" (١).

ونسأل المؤرخ الكبير ثلاثة الأسئلة الآتية :

- ١ - بعد إنقاص كل ما ذكرت من الكتاب هل يتبقى منه شيء، وقد أكد الباحثون
أن كل ما فيه أساطير الأولين؟
- ٢ - هل سمعت أو سمع الناس عن صلاح وتقوى يؤديان إلى أغلاط؟
وإذا كان الصلاح والتقوى يؤديان إلى الأغلاط فما طريق الصواب إذن؟ أي يكون
الفساد والكفرهما طريقا الصواب؟
- ٣ - إذا كانت الأسفار التاريخية ليست قديمة العهد، وإنما هي تأليف حديث،
وخالية من الدقة فمن أين جاءت القداسة؟
وهل تستحق الإيثار بها كنص ديني يتخذ وسيلة لهداية البشر؟

إنها عقلية غريبة عجيبة تلك التي ترى في الاختلاف الثامًا، وترى في التناقض
انسجامًا، وتستخدم عقولها فلا تدرك إلا أوهاما، وتفتح أعينها فلا تبصر إلا ظلامًا،
وتصغى آذانها فلا تسمع إلا صمتًا، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ
لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٢).

إنهم كما جاء وصفهم في البشائر: " ١٣ هَذَا السَّبَبِ أَكَلَّمَهُمْ بِأَمْثَالٍ: فَهُمْ
يَنْظُرُونَ دُونَ أَنْ يُبْصِرُوا، وَيَسْمَعُونَ دُونَ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْهَمُوا. ١٤ فِيهِمْ قَدْ تَمَّتْ
نُبُوءَةُ إِسْعِيَاءَ حَيْثُ يَقُولُ: سَمْعًا تَسْمَعُونَ وَلَا تَفْهَمُونَ، وَنَظْرًا تَنْظُرُونَ وَلَا
تُبْصِرُونَ. ١٥ لِأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ صَارَ غَلِيظًا، وَصَارَتْ آذَانُهُمْ ثَقِيلَةً السَّمْعِ،
وَأَعْمَضُوا عُيُونَهُمْ؛ لِثَلَاثًا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ،
وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ، فَأَشْفِيَهُمْ! " (٣).

(١) قصة الحضارة ٢ / ٣٨٥.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٧٩.

(٣) بشرى متى ١٣: ١٣ - ١٤.

وإذا كان القرآن الكريم، وكتب التفسير، والحديث الشريف كلها تؤكد صدق ما توصل إليه العلماء من حقائق، وما كشفت عنه الآثار من معلومات بفضل ما ابتكره العلم الحديث من وسائل... لذلك يجب تصحيح المفاهيم الخاطئة؛ ليتسنى للعرب بخاصة وللمسلمين بعامّة - بل للبشر كلّهم - إعادة كتابة تاريخهم السياسي والديني على أسس علمية صحيحة، وعلى عقيدة متينة سليمة.

ونحن على قناعة تامّة أنّه لن يستفيد من قولنا هذا إلاّ إنسان شرح الله صدره للحق، وهداه سواء السبيل، وتخلّى عن عناده وكفره، ورحم الله الأعمى التطيلي^(١) الذي قدّم لأمثال هؤلاء نصيحة غالية، لعلّهم ينتفعون بها، قال^(٢):

فَانظُرْ بِعَقْلِكَ إِنَّ الْعَيْنَ كَاذِبَةٌ ❁ وَأَسْمَعْ بِحِسِّكَ إِنَّ السَّمْعَ خَوَّانٌ
وَلَا تَقُلْ: كُلُّ ذِي عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ ❁ إِنَّ الرُّعَاةَ تَرَى مَا لَا يَرَى الضَّانُ

وقد رأيت أن تكون هذه الدراسة في باين :

الباب الأول : أهل الكتاب يبدّلون دين الله.

وفيه الفصول الآتية :

الفصل الأول : في البدء تصحيح المفاهيم.

الفصل الثاني : أسطورة الحيّة.

الفصل الثالث : الأجناس البشرية.

الفصل الرابع : إله اليهود وإله المسيحيين.

الفصل الخامس : من قصص الأنبياء.

الفصل السادس : قراءات نقدية لبعض نصوص الأسفار اليهودية.

الباب الثاني : دين الله في مصر المحروسة.

(١) أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن هريرة، القيسي (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م) شاعر أندلسي، نشأ في

أشبيلية، له ديوان شعر مشهور. الأعلام ١ / ١٥٨.

(٢) ديوانه ٢١٨.

وفيه الفصول الآتية :

الفصل الأول : دين الله في التراث المصرى القديم.

الفصل الثانى : من إدريس إلى إخناتون.

الفصل الثالث : من إبراهيم إلى يوسف.

الفصل الرابع : من شعيب إلى يحيى.

الفصل الخامس : الرسائل السماوية الكبرى.

ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ كتابا صغيرا كهذا لا يمكن أن يكون سيرة كاملة لهؤلاء الأنبياء - رضوان الله عليهم أجمعين - أو يكون عرضا لتعاليمهم، أو تنفيذًا لأقوال المؤرخين مسلمين وغير مسلمين فهذا عمل تنوء به العصبه من الرجال أولى القوة والبأس، وإنّما الغرض الرئيس من هذا الكتاب هو معالجة القضايا الفكرية الهامة التي هي محلّ خلاف بين المؤمنين والملحدّين، وأعترف أنّ أكثر ما في هذا الكتاب من حقائق هي محصّلة جهود العلماء المخلصين الذين نذروا حياتهم لكشف الحقيقة، والدفاع عن عقيدة رأوا فيها صلاح المجتمع، وتيقنوا أنّ فيها خير الفرد في دنياه وآخرته، وصوابها وخطؤها هم مسئولون عنها؛ وأرجو أن يكون لهم عند الله أجرى الصواب، وأجر الخطأ جزاء اجتهادهم، وغيرتهم على دينهم، وأقل ما في هذا الكتاب هو اجتهاد شخصي أحمل وحدى وزر الخطأ فيه، ولا أمّن على الله نعمه الخير فيه، بل أدعو الله تعالى ألا يجرمنى أجر ما بذلت من جهد راجيا أن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن يهدينا جميعا إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم وعلى الله قصد السبيل، ومنه العون، وبه التوفيق، وعليه التكلان.

محمد لاشين

القاهرة في رمضان المعظم ١٤٢٧ هـ / أكتوبر ٢٠٠٦ م.